تحورات القيم الإجتماعية مابين التوحد مع التقنية و إلتزامات الضبط والتحكم، "قراءة تحليلية في ضوء فكر التغير الإجتماعي"

Mutations of social values between unification with technology and commitments to control and regulation (An analytical reading in light of the thought of social change)

*ط.د عبد الحق ونوغي
جامعة الوادي ،مخبر التنمية الإجتماعية وخدمة المجتمع
abdelhak-ouanoughi@univ-eloued.dz
د.حمزة قدة
جامعة الوادي ،مخبر التنمية الإجتماعية وخدمة المجتمع
hamza-guedda@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام 2023/09/27 تاريخ القبول 2023/11/25

الملخص

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، بحيث تسعى بشكل أساسي لرصد الأليات الناجعة للتحكم في السلوكيات القيمية في المجتمع، في ظل التوحد مع التكنولوجيات التقليدية والحديثة للإتصال والإعلام، بناءا على ماجاء في الارث المعرفي خصوصا في نظريتي الحتمية التكنولوجيا، والحتمية القيمية، وعلى هذا الأساس توصلت الدراسة للعديد من النتائج من بينها، أن تحورات القيم الإجتماعية التي طرأت مؤخرا على المجتمعات تعد احد افرازات فعل دخول التكنولوجيا حيز الخدمة في الحياة الاجتماعية، وبروز قيم دخيلة مقابل القيم الاصيلة على المستوى الاجتماعي، وبذلك يعد التغير الإجتماعي الذي يطرأ على المجتمع حالة طبيعية ومتوقعة.

كما تعد المرتكزات الفكرية للأنموذج السيبرنطيقي، أحد الميادين والمجالات المهمة بالنسبة لمؤسسات التنشئة الإجتماعية، لصون وحفظ القيم الاجتماعية الأصيلة من تحديات استخدام التكنولوجيا، خصوصا في ضوء أليات التحكم في السلوك التي طرحها الأنموذج بإعتماد عنصر التغذية الراجعة .

الكلمات المفتاحية: تحورات، القيم الإجتماعية، التغير الإجتماعي، التكنولوجيا، الأنموذج السبرنطيقي

Abstract:

This study relies on the descriptive analytical approach, so that it mainly seeks to monitor the effective methods to control value behaviors in society in light of unification with traditional and modern technologies of communication and media, based on what is in the cognitive heritage, especially in the theories of determinism technology, and determinism of values, and on this basis, the study reached many results, including, that the changes of social values the social change that occurs in society is a natural and expected state.

The intellectual foundations of the cybernetic model are also one of the important fields and areas for socialization institutions to preserve and preserve authentic social values from the challenges of using technology, especially in light of effective methods of controlling behavior put forward by the model based on the feedback element.

Keys Words: *The Mutations, social values, social change, technology, cybernetic model.*

* المؤلف المرسل

مقدّمة:

تعتبر العلوم الإنسانية موضوع بحث نال حصة كبيرة في مجمل أبحاث ودراسات المنظرين في علم الإنسان ،وعلم الإجتماع خصوصا، بعد إنفصالها كعلوم في الأصل عن مضلة الفلسفة .

ولقد لاحظ ثلة من الباحثين أن السلوك الإنساني بطبعه متغير ديناميكي، وغير دقيق، الأمر الذي جعل جل أفكارهم ودراساتهم على الإنسان ككائن إجتماعي، تنصب على دراسة التغير الذي يشوبه إنطلاقا من خلفياته، ووصولا لسلوكه الإجتماعي الذي نلاحظه جليا للعيان .

إستنادا لهذا الغرض برزت عديد الدراسات في علم الإجتماع في وقت مبكر لدراسة الإنسان، في علاقته بالمجتمع، وعوامل التغير فيه، ومنه طفت للسطح مواضيع الصراع الإجتماعي، التنظيم الإجتماعي، والتغير الإجتماعي.

وتوالت ايضا الدراسات التي تربط التغير الاجتماعي ببناء الحضارات و زوال اخرى، مثل تلك الافكار التي قدمها عالم الاجتماع ابن خلدون، والمفكر الجزائري مالك بن نبي، اللذان مثلا فكرة التغير الاجتماعي، بظهور وميلاد الحضارات، ثم نموها ونضجها، ووصولا لإنحصارها، وحتى زوال بعضها .

ومع التطور التقني الذي جاء به العلم في منتصف القرن العشرين، وبالضبط في الربع الأخير من القرن العشرين، برزت دراسات أخرى ترجح أن التغير الإجتماعي غير أصيل، بل هو نتاج عوامل خارجة عن إرادة الفرد ككائن إجتماعي، ومن بين تلك العوامل ،عامل التكنولوجيا، وأن هذه الأخيرة تعمل على توسيع رقعة التغير إن صح القول.

فإنفردت لاحقا دراسات في مجال الإعلام والإتصال بدراسة التغير الإجتماعي، من زاية مغايرة لتلك التي عهدناها في علم الإجتماع و علم الإنسان وحتى علم النفس، فالتكنولوجيات فرضت واقعا مغايرا، يرتبط بالإنسان والفرد والمجتمع، وايضا بالوسيلة أو التقنية نفسها، وأيضا مضمون هذه الوسيلة، وقوة تأثيرها المفترضة .

وفي سيرورة هذه الدراسات الإعلامية والإتصالية، تماهت على أذهان بعض الباحثين أحد أهم ركائز العلاقة بين المجتمع والفرد من جهة، والتكنولوجيا والتقنية من جهة أخرى، وتتمثل هذه الركيزة في عنصر القيم الإجتماعية، بين القيم الأصلية والقيم الهجينة ،بين القيم الفطرية والقيم المكتسبة، بين القيم الحميدة والقيم المذمومة .

بين تلك القيم المحلية التي ينشأ من خلالها أفراد المجتمع، منذ نعومة أظافرهم، والتي تتكفل بغرسها فيهم المؤسسات الإجتماعية كالمدرسة والاسرة والمسجد خصوصا، وبين تلك القيم التي يجدونها جاهزة و هي غير أصيلة، يستمدونها، ويكتسبونها مع الوقت، من خلال التكنولوجيات الحديثة للإعلام والإتصال خصوصا، والتي وضعها الإنسان في الاصل، ولكنها تكنولوجيات في الغالب غربية المنشأ، وامريكية الإنتاج في الغالب أيضا .

واذا كانت هذه القيم مرتبطة بعناصر العملية الإتصالية، فهي ترتبط أكثر بعنصر الرسائل، التي تحملها وسائل الإعلام والإتصال من المصادر التي تؤسس وتبني هذه الرسائل الى مختلف الجماهير المستهدفة .

ولعل هذا ما جعل جل الباحثين ينظرون في سياقات وبيئات مختلفة وفقا لعناصر العملية الإتصالية، لتأثيرات وسائل الإعلام على التغيرات التي تطرأ على سلوكيات وقيم وإتجاهات أفراد المجتمع.

وتمخض عن هذا بروز براديغمات تسمو بالفكر الذي يربط مابين التقنية و الرسالة، خصوصا الأنموذج الذي قدمه الباحث "نوربرت فينر" والمتمثل في انموذج التحكم في اليات الإتصال ورسائله .

من هذا المنطلق نستشف **إشكال جوهري رئيس** ينبغي البحث فيه، نجده على النحو التالي :

ماهي الأليات الناجعة للتحكم في السلوكيات القيمية في المجتمع في ظل التوحد مع التكنولوجيات الحديثة للإتصال؟

ويندرج تحت هذا التساؤل عدد من **الأسئلة الفرعية** :

ضمن أي مجال تندرج إفتراضات التغير الإجتماعي ؟

كيف أثرت التكنولوجيا في إحداث طفرة التغير الإجتماعي ؟

فيما تتمثل القيم التي أفرزتها التكنولوجيا المستجدة؟

ماهي أليات التحكم في السلوك الإجتماعي في ظل تغول التكنولوجيا ؟

2-الأهمية

تعد مسألة التطورات التكنولوجيا، احد أهم المسائل التي لاقت إهتمام لافت من قبل الباحثين والخبراء على مد سنين طويلة، وذلك على إثر تلك التغيرات المصاحبة لإستخدام وتوظيف هذه التكنولوجيات على مستوى المجتمعات، وخصوصا تعرض القيم الإجتماعية لتحورات وتغيرات، بعد أن ضلت هذه القيم الأصيلة لفترة طويلة حكرا على ممارسات و تعليمات مؤسسات التنشئة الإجتماعية، بشكل تقليدي، غير أن فعل التكنولوجيات ،أدى لتحور القيم، ببروز قيم اخرى تحملها هذه التكنولوجيات، وبالتالي فلقد شكل هذا الموضوع أهمية بالغة بالنسبة للمجتمعات المستهلكة لهذه التكنولوجيات، بما فيها الباحثون، الذين يسعون للبحث عن أنجع الطرق للحفاظ على القيم الإجتماعية، من التفكك، وحتى الزوال، وذلك بالدراسة المنطقية للرسائل والمضامين التي تحملها هذه التكنولوجيات، ولعل الانموذج السبرنطيقي يوفر بعض من هذه الحلول، في ظل إعتماده على التغذية الراجعة للمعلومات المحصلة من هذه التقنيات والتكنولوجيات.

3-الأهداف

تسعى هذه الدراسة لتحقيق بعض الاهداف، نجد من بينها :

-قراءة للقيم الإجتماعية في ضوء فكر التغير الإجتماعي من الإرث النظري لفكر الباحث الكندي مارشال ماكلوهان، و الفكر القيمي لبعض الباحثين العرب والمسلمين.

-معرفة الطفرات التي أحدثتها تكنولوجيات وسائل الإعلام التقليدية والحديثة على مسألة القيم الإجتماعية.

-السعى نحو تحديد القيم التي أفرزها توظيف وإستخدام تكنولوجيات ومضامين وسائل الإعلام التقليدية والحديثة.

-تحديد الأليات التي تكفل ضبط ، والتحكم في السلوك الإجتماعي عموما، وحفظ القيم الإجتماعية الأصيلة خصوصا من تحديات القيم الدخيلة التي تحملها تكنولوجيات وسائل الإعلام التقليدية والحديثة.

4-منهجية الدراسة

سيتم الإعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك في ضوء دراسة نظرية تحليلية لتحورات القيم الإجتماعية في إطار فكر التغير الإجتماعي، ممثلا في فكر التقني لماكلوهان، والفكر القيمي الذي مهد له ثلة من الباحثين العرب والمسلمين، أمثال المفكر والباحث الجزائري عزي

عبد الرحمن، وكل هذا من خلال دراسة لأثر تغول التكنولوجيا التقليدية والحديثة لوسائل الإعلام، بإعتبار أن المستخدمين والمستهلكين للتكنولوجيات وسائل الإعلام والإتصال التقليدية والحديثة يتوحدون مع هذه الوسائل من جهة، وان هذه الوسائل و التقنيات تحمل معها قيم الدول والشعوب المنتجة من جهة اخرى، وفي هذا الصدد سيتم أيضا دراسة سبل التحكم وضبط هذه الرسائل القيمية، والبحث في إمكانيات بث رسائل القيمية لمؤسسات التنشئة الإجتماعية للشعوب المستهلكة للتكنولوجيات، قصد المساهمة في صون وحفظ القيم الاجتماعية الأصيلة.

5-ضبط المفاهيم

تحورات القيم الإجتماعية :

يعد مفهوم القيم الإجتماعية من المفاهيم التي لاقت اهتماما لافتا من قبل العديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية خصوصا، وذلك في ضوء تعدد المدارس والزوايا والرؤى و المنطلقات النظرية التي اعتمد عليها كل باحث من الباحثين.

وبشكل عام لتحديد مفهوم تحورات القيم الاجتماعية ينبغي أولا معرفة أنه، من ناحية الدراسات الاجتماعية، يوجد اختلاف نوعي بين مصطلحين شائعين هما التغيير والتغير، بحيث يشير التغير إلى التحول المفاجئ في ظروف معينة، وهو مظهر واضح جداً يظهر على الشيء، ويمكن أن يحدث لجميع أمور الحياة والمخلوقات المختلفة بما يعرف بالظواهر الكونية. أما التغيير فهو تحول منهجي متعمد يتم تخطيطه حرفيًا بطريقة تقلل من المخاطر والسلبيات التي قد تنجم عن عملية التحول.[1]

واذا كان مفهوم التغير أو التحور السوسيولوجي يركز على النظام الإجتماعي، فإن هذا النظام يولد قيم مختلفة على عديد الأصعدة، مثل القيم الجمالية، والقيم الأخلاقية والقيم السيكولوجية، والقيم الإجتماعية، في حين تعد هذه الاخيرة من أبرز القيم على المستوى المجتمعي الأشمل .

ويذهب عديد الإجتماعيين لوضع مفهوم للقيم الإجتماعية ولكل باحث منظوره الخاص، ومن بين هذه التعريفات، ذلك التعريف الذي قدمه أيميل دوركايم "ان لكل مجتمع نظام أخلاقي خاص به، ويعد المجتمع هو لسان حال القيم الأخلاقية، في حين ان النظام الاخلاقي يعتمد على البناء الاجتماعي الذي يوجد فيه"

في حين يذهب ماكس فيبر، الى ان: "القيم هي الموجهات التي تفرض نمط او شكل السلوك، وتتضمن هذه القيم بعض الاوامر التي تحكم سلوك الانسان بطريقة ضاغطة "، بمعني أن سلوك الفرد يتحدد جزئيا من خلال تلك القيم التي هي مدمجة داخل كينونة كل فرد في المجتمع، مما ينعكس عن سلوكه الاجتماعي.

في حين يربط الاجتماعي تالكوت بارسونز القيم الاجتماعية بـ"البناء الثقافي، حينما أكد انه مصدر للقيم الاجتماعية حيث يتكون هذا البناء من نسق الافكار وأنساق الرموز.[2]

التعريف الإجرائي:

القيم الإجتماعية، هي ذلك المخزون الفكري والعاطفي الوجداني، الذي تغرسه المؤسسات الإجتماعية ،خصوصا الأسرة والمدرسة والمسجد ، في كل فرد في المجتمع، و مع مرور الوقت تصبح هذه القيم المغروسة والفطرية، موجهات بالنسبة لسلوك الأفراد .

كما تتأثر هذه القيم بمتغيرات خارجية مكتسبة ناتجة عن البيئة التي يعيش فيها الفرد، بما يؤدي الى تغيرات ليست فقط فيسيولوجية للفرد، بل حتى تغيرات في النواحي الفكرية والسلوكية، ومن بين هذه المتغيرات الجوهرية التي تتأثر بها قيم الأفراد، التكنولوجيات الحديثة التي إخترعها الإنسان الغربي خصوصا، وممثلة في تكنولوجيات وسائل الإعلام والإتصال التقليدية والحديثة أيضا.

الحتمية التكنولوجيا :

تعد الحتمية التكنولوجيا، إحدى أهم نظريات الإتصال المعاصرة، والتي تصنف ضمن مدخل وسائل الإعلام قوية التأثير على الجماهير، تعود جذور هذه النظرية، لصاحبها الباحث الكندي "مارشال ماكلوهانMclouhan marshal"، ظهرت هذه النظرية في ستينيات القرن العشرين، والتي تركز على قوة الوسيلة الإتصالية في التأثير على الجماهير، بغض النظر على المحتوى او المضمون، وعلى هذا الأساس يتم تحديد نوعية الإتصال وتأثيره.

اما عن أهم الأفكار التي بنى عليها مارشال ماكلوهان نظريته، فلقد كانت نتيجة تأثره بالدراسات التي ساقها الباحث الكندي ايضا، " هارولد إينيس Harold Innis"، حيث تبلورت أفكار هذا الأخير في إطار دراسته تحت عنوان "الإمبراطورية والإتصالات عام 1950 م و"إنحراف الإتصال" عام 1951م، اما عن جوهر افكاره فقد كان ينصب حول تأثر بلده كندا، من حيث سيطرة دول الجوار تكنولوجيا على كندا، وبخاصة دول بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية، بما يؤدي الى خطورة ضرب الحياة الثقافية في كندا، وتهديد كيانها الإجتماعي برمته، في ظل وجود انحرافات تكنولوجيا، وقد مهدت أفكار "هارولد اينيس" لظهور نظرية تلميذه "مارشال ماكلهون" والتي جاءت على إثر استشراف بناه ماكلوهان بإعتماد افكار ودراسات "إينيس"، و أطلق ماكلوهان على نظريته التي ظهرت في ستينيات القرن العشرين "بالحتمية التكنولوجيا". [3]

اما عن جوهر النظرية التي جاء بها الباحث "مارشال ماكلوهان"، فلقد بينت أن تطور الحياة الإجتماعية مرتبط بالتكنولوجيا او التقنية، وبناءا على ذلك يقسم تطور وسائل الإتصال لأربع مراحل تعكس حسبه التاريخ الإنساني، بداية من عصر الإتصال الشفوي الذي استغرق معظم التاريخ الانساني، منذ الأزل، ثم مرحلة وعصر الكتابة الذي ظهر في بعض الحضارات ، وبعدها عصر الطباعة حيث ظهرت حوالي سنة 1400، وبعدها مرحلة وسائل الإتصال الإلكترونية، والتي ظهرت حوالي 1900الى غاية يومنا هذا.

التعريف الإجرائي:

تعد نظرية الحتمية التكنولوجيا أحد النظريات التي تنتمي لمدخل التأثير القوي لوسائل الإعلام على الجماهير، تعود لصاحبها الباحث الكندي "مارشال ماكلوهان"، تقوم النظرية على العديد من الإفتراضات، ولعل أبرزها أن الوسيلة هي الرسالة، أي أن الوسيلة هي التي تؤثر في تكوين المجتمعات الإنسانية .

الأنموذج السبرنطيقي:

يعد الأنموذج او البراديغم أحد أهم الموجهات الرئيسية في المرجعيات التأسيسية لعلوم الإعلام والإتصال، بحيث نجد أن من بين أهم هذه البراديغمات، ذلك الأنموذج الذي قدمه الباحث الأمريكي نوربرت فينرNorbert Weiner ، بحيث ظهر مصطلح سبرنطيقا عام 1948 م ، في كتابه "السبرنتيك" او التحكم في الاتصالات والكائنات الحية ، كما ان أصل الكلمة يعود أيضا للعصور الرومانية من لفظ " كوبرنتيك kubernètikè والتي كان يقصد بها قيادة الربان للسفينة ثم استخدم هذا المصطلح افلاطون للدلالة عن فن قيادة السفن أيضا، وغاب المصطلح لغاية بدايات القرن الـ19 م، عندما وظفه العالم الفرنسي "أندريه ماري أمبير " وإعتبره علم إدارة المجتمعات، الذي يهيء للعالم فرصة الإستمتاع بالعالم.

والسبرنطيقا في مفهومها في الوقت الراهن، تعني العلم الذي يدرس النظريات العامة للتحكم في الأنظمة المختلفة سواءا كانت بيولوجية أو تكنولوجية، أو العلم الذي يدرس الكائنات الحية كما وصف "نوربرت فينر "، مشيرا الى ان السبرطيقا هي علم التحكم الألي في الإنسان والحيوان، و الكائنات الحية والألات على انها أنظمة تتصل فيها العناصر الفردية ببعضها البعض، ويسيطر ويؤثر بعضها في البعض، فجوهر إهتمامه تقنيات الإتصال في عملية إسترجاع المعلومات أو مرحلة التغذية الراجعة التي تتم بين أجزاء النظام أو النسق بواسطة المعلومات التي على أساسها تتم عملية التنظيم الذاتي أو الألي للكائن الحي أو الألة أو النسق ككل، والذي هو من المفاهيم الأساسية التي يعتمد عليها علم السبرنطيقا.[4]

ومنه فالبراديغم السبرنطيقي يقتضي الدراسة النظرية لعمليات الإتصال والتحكم في الأنظمة الحيوية البيولوجية والميكانيكية والالكترونية ،وخصوصا الموازنة بين هذه العمليات في الأنظمة الحيوية والإصطناعية.

وهو أيضا براديغم كمي بالدرجة الأولى، من كونه أحد أكبر البراديغمات الأربعة في علوم الإعلام والإتصال "البراديغم السبرنطيقي، البراديغم السلوكي، البراديغم التفسيري، البراديغم الوظيفي"، بحيث يدرس العمليات على عدة مستويات "أربع مستويات في غالب الاحيان "، من أجل التوصل الى

التحكم فيها، كما يتضمن هذا البراديغم دراسة العديد من الثنائيات " مدخلات، مخرجات –الإتصال ألة ، الإنسان ألة – إنسان ، إنسان، والتي تعبر عن الجذور التقنية لهذا البراديغم .[5]

التعريف الإجرائي:

يعتبر الأنموذج السيبرنطيقي، انموذجا أليا بإمتياز، اذ يقوم على ألية التحكم في الأنظمة الحيوية والتكنولوجيا، ويقوم بشكل أساسي على ألية التغذية الرجعية، من خلال عملية رجع الصدى، يتم الحصول على المعلومات والبيانات الأساسية التي تساعد الأنظمة على التحكم والتنظيم الذاتي لمكونات النظام برمته، فضلا على التكيف مع مختلف الظروف التي قد تطرأ على النظام.

كما ان هذا الانموذج يسمح تطبيقه في العلوم الاجتماعية، من التحكم في السلوك بناءا على الرسائل والمضامين التي يتم ادخالها خصوصا مابين الانسان والألة، والألة والانسان، وتمثل المعلومة او التغذية الراجعة درجة ومقياس مهم لكشف تنظيم المجتمع من عدمه.

6-الدراسات السابقة

-دراسة الباحثة، فاطمة الزهراء ينون، **حول تكنولوجيا الإتصال الحديثة والقيم الإجتماعية والثقافية،** إعتمدت الباحثة على المنهج التحليلي، وركزت على دراسة حول المنتجات الثقافية الغربية وأثرها في إختراق الثقافات المحلية العربية خصوصا، وتوصلت الباحثة لبعض النتائج المهمة ، نجد من بينها : الى ان من أهم المعوقات والمخاطر والتهديدات على النواحي الثقافية بما فيها القيم الاجتماعية ، هو عولمة رسائل ومضامين الوسائل التكنولوجيا غربية المنشأ، وماترتب على هذه العولمة من مخاطر تغير ثقافات وقيم المستهلكين لها.

-دراسة كل من الباحثين، رشيد بن راشد، و حسينة بلحاج، حول **تاريخ فلسفة التكنولوجيا : القيم الإجتماعية والتكنولوجيا** ،اهتمت الدراسة بالمناقشة الفلسفية للتكنولوجيا في أثرها على المجتمع، من زوايا فلسفية، من خلال رؤى الفلاسفة، أمثال ديوي، مارتن هايدغر، وهاربرت ماركيوز، و هدفت هذه الدراسة الى اقامة مقاربة فلسفية تاريخية لتكنولوجيا العصر الحديث، اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، ومن اهم نتائج هذه الدراسة ، ان مسألة كينونة الإنسانية بقيمه التكنولوجيا والاجتماعية، هي مسألة واحدة، وان هذا الامر كان قائما منذ امد بعيد ، لكنه مجهول، ولكن مع قدوم التكنولوجيا حملت معها تمثلا لهذا العالم المجهول .

التعليق على الدراسات السابقة :

اهتمت الدراسة الاولى بدراسة النظرية لمسألة تأثير التكنولوجيا على المجتمعات المستهلكة، من خلال تحديات اختراق هذه الوسائل للثقافات والقيم المحلية، بينما اهتمت الدراسة الثانية بالدراسة الفلسفية لمسألة نشأة التكنولوجيا ، من خلال التحليل الفلسفي بإعتماد المنهج التاريخي التحليلي .

بينما دراستنا هذه في الغالب تهتم بتاثير تكنولوجيا وسائل الإعلام والإتصال التقليدية والحديثة، على القيم الإجتماعية، خصوصا في ظل دور مؤسسات التنشئة الإجتماعية سواءا في ظل القيم القائمة، اوالمستوردة مع هذه التكنولوجيات، و تم اسقاط هذه الدراسة على فكر التغير الإجتماعي ممثلا، في نظريتي الحتمية التكنولوجيا المتعلقة بالوسيلة التكنولوجيا، والحتمية القيمية المتعلقة بالمضمون القيمي للوسائل التكنولوجيا، وهذا كله من خلال دراسة الأليات التي تكفل لمؤسسات التنشئة الاجتماعية، برعاية وحفظ القيم الاجتماعية الأصيلة، من تحديات ومخاطر القيم المستوردة مع مضامين الوسائل التكنولوجيا، إعتمادا على فرضيات الأنموذج التحكمي السبرنطيقي.

المحور الأول : القيم الاجتماعية في ضوء فكر التغير الإجتماعي

تعد القيم بمثابتة رموز يشار اليها عند التفاعل الاجتماعي، مثل كلمة شرف وامانة وصدق، التي تشير لقيم معينة نحترمها وتوجه سلوكنا الاجتماعي.

عموما، توجد القيم في ثلاث أشكال أساسية : **فشكل الأول** فهي الرموز التي يعترف بها المجتمع على انها قيمة أساسية ، مثل القيم التي يؤمن بها المجتمع الإسلامي ، ويؤكد عليها الافراد في المجتمع، وأيضا تلك القيم في المجتمع الاشتراكي سابقا، وأيضا تلك القيم في المجتمع الرأسمالي .

ومنه كل مجتمع له مجموعة من الرموز والقيم في الفضاء العام يراعيها الافراد دائما، وهم يأتون سلوكياتهم الاجتماعية في مختلف المجالات فالأمانة من الممكن ان تكون في الاسرة والاقتصاد وغيره.

اما الشكل الثاني ان القيم تتحول الى مجموعة من الأعراف والتقاليد والعادات، التي تنظم التفاعل الاجتماعي للبشر، أي كانت رموز ثم هبطت الى عادات وتقاليد في الواقع الاجتماعي.

اما الشكل الثالث تتواجد في داخل الشخصية ذاتها وتشكل الضمير الداخلي للفرد، يستوعبها من خلال التنشئة الاجتماعية.[6]

اذا اتفقنا سوسيولوجيا، على كون القيم ليست ثابتة تتغير مع تغيرات المجتمع، فإن خصوصية تطور القيم تكمن في حقيقة ان هذا التطور لايحدث بوتيرة واحدة لباقي المجتمعات الأخرى، من منطلق ان القيم تستبطن في الوعي والعقليات، وتخضع لزمنية خاصة تتصف بالبطء، والعودة للقيم القديمة في أشكال حديثة.[7]

ومنها يتشكل رصيد قيمي من عادات وتقاليد واعراف موروثة، لذلك فالتغير حقيقة يعيشها الناس في عالم لايخلو جانب واحد من جوانبه من التغير، فهو يسير باضطراد من البسيط الى المعقد، ومن البطيء الى السريع .

والناس لا يتساوون في مدى تقبلهم لأي تغير ثقافي يطرأ على نظمهم الاجتماعية، او قيمهم، وبالتالي فإن عملية "القبول الاجتماعي" تعتبر من اهم العمليات التي تواجه نجاح او فشل التغير الاجتماعي .

وتعد أسباب التغير مختلفة في حقيقة الامر من مجتمع لأخر، من حيث شدة التغير ومدى تقبله والسعي اليه، لأن التغير الاجتماعي يمثل تهديدا للقيم التقليدية السائدة في المجتمع.

وعلى هذا الأساس تظهر المقاومة والعداء للتغيرات في المجتمعات التقليدية، وتنصب المدارس في هذه المجتمعات حارسا على القيم التقليدية، كما تميل هذه المجتمعات الى الثبات.

وعلى رغم هذا يعد التغير الاجتماعي عملية مستمرة تشمل كل العلاقات الاجتماعية بين افراد المجتمع، فهم يتأثرون ويؤثرون في بعضهم البعض.

ويعتبر التغير الاجتماعي تعديلا للانماط الثقافية السائدة في المجتمع، وإحلال أنماط أخرى بدلا منها، و من اشكال التغير، انه انفتاح المجتمع على ثقافة وفكر واقتصاد المجتمعات العالمية، والتوسع في تطبيق التكنولوجيا المتطورة في كثير من المجالات، وتوجيه مزيد من العناية الى التنمية الريفية الشاملة ومنها كهربة الريف و تصنيعه .[8]

وللتغير على المستوى القيمي خصوصا عديد العوامل منها الاصيلة فيها، والمتأصلة الخارجة عن طوقها، ومن بين هذه العوامل أيضا : العوامل الاقتصادية، العوامل السياسية، العوامل الاجتماعية والتعليمية، عوامل الهجرة .

كما ينبغي عدم التماهي عن دراسة العوامل التكنولوجيا، التي سرعت من عمليات التغير وغذتها إفرازات هذه التكنولوجيا من وسائل مادية عالمية .

المحور الثاني : دور التكنولوجيا في إحداث طفرة التغير الإجتماعي

يرى الباحث الكندي "مارشال ماكلوهان "، أن وسائل الإعلام الإلكترونية حولت العالم إلى قرية كونية، تتصل جميع أجزاءها ببعضها البعض، وتحث هذه الوسائل على العودة إلى الحياة القبلية.

ويرى ماكلوهان في ما يسميه بالحتمية التكنولوجيا أن المخترعات التكنولوجيا هي التي تؤثر في تكوين المجتمعات .

كما يعد الإتصال التكنولوجي ممهدا للتحولات الكبرى التي تبدأ لدى الشعوب ليس فقط في التنظيم الإجتماعي، وانما في الحواس الإنسانية أيضا.

بمعنى ان وسائل الاعلام كوسائل ومخترعات تكنولوجيا حديثة ليست الوحيدة التي تؤثر في تغيير وتوجيه وتكوين المجتمعات، وخصوصا نسب استخدام الحواس بين وسائل الاتصال، مثلا حاسة النظر مع المقروء ،والسمع مع المذاع، والنظر والسمع مع شاشة التلفزيون، وهذا مايجعل أليات التحكم صعبة نسبيا.[9]

غير أن هذه الوسائل التي تحدث عنها ماكلوهان قد تكون أفكارها مثلى أحيانا، خاصة في حال تهميش مضمونها وماتحمله معها من ايجابيات وسلبيات في عالم متغير أصلا، يعرف صراعا بين "من يملكون ومن لايمكلون" مثل ذلك الوصف الذي قدمه كارل ماركس للمجتمع .

وفي سياق فرضيات نظرية الحتمية التكنولوجيا يتحدث مؤكدا صاحب النظرية مارشال ماكلوهان : أن الوسيلة التي تنقل المضمون الإعلامي تؤثر في المستقبل تأثير لا شعوري مما يؤدي إلى تغيير سلوكهم، ويرى ماكلوهان أن لكل وسيلة جمهور من الناس الذي يفوق حبه لها اهتمامه بمضمونها. [10]

هذا و يرى الباحث " الجموعي مومن بكوش " في دراسته حول التغير الاجتماعي وانعكاسه على القيم الاجتماعية لدى طلاب الجامعة : ان احد اهم مكونات القيم، وسائل الإعلام بحيث انها تؤثر من خلال ماتقدمه من معلومات لأفراد المجتمع في النمو العقلي و الانفعالي والاجتماعي خصوصا للأطفال والمراهقين، كما صارت وسائل الإعلام تلعب دورا أساسيا ينافس الأسرة في التنشئة الاجتماعية للأطفال، وبالتالي فتأثير هذه الوسائل لايقتصر على الأطفال بل نجده حتى لدى الكبار والأمهات مساهما في احداث تأثيرات على القيم والمعتقدات والاتجاهات وحتى الاختيارات الفردية والجماعية .[11]

وليس ببعيد عن الباحث الجموعي مومن بكوش في الرؤى والأفكار، تعتقد "إنتصار العتوم " في مقال موسوم بـ" عامل التكنولوجيا ودوره في التغير الاجتماعي : " أن الإختراعات التكنولوجيا تسبب إنتشار في الإتجاهات بطريقة تم تشبيهها بالموجات المائية التي تنتج عن إلقاء حجر في الماء، وبالتالي يتم تشكيل الدوائر المتصلة، وبنفس الطريقة يكون تأثير التكنولوجيا في الحياة الاجتماعية، وفي داخل المجتمع تأثير متواصل.[12]

كما استندت أيضا انتصار العتوم على حركة التصنيع التي أدت للتحول على المستوى الاجتماعي خصوصا في النزوح من الأرياف الى المدن، وتعتقد أن وسائل الاعلام أدت لتغيرات اجتماعية بعيدة الأمد على مستوى المدن الحديثة نتيجة التكنولوجيا، بحيث وضح على حد تعبيرها "وليام اوجبرن " عندما بحث في تأثير الراديو على الحياة الاجتماعية، واستمر في القول ان التكنولوجيا أدت الى تغير في العادات والمؤسسات الاجتماعية على نطاق واسع.

وعلى هذا النحور سار معظم الباحثين في حقول علوم الإعلام والإتصال من حيث تنظيرهم، لتأثيرات وسائل الإعلام والإتصال، وذلك رغم اختلاف رؤيتهم، لجوهر هذا التأثير، بحيث نجد من بينهم : "هارولد لاسويل ، وفكرة تأثير وسائل الاعلام والدعاية على المجتمع، ولازارسفيلد وكاتز وغيرهم .

إلا ان الباحث الكندي "مارشال ماكلوهان " في حقيقة الأمر، هو من تحدث عن فكرة قدرة وسائل الاعلام التكنولوجيا على جعل المجتمعات تعيش داخل قرية كونية تتصل جميع اجزاءها ببعضها البعض، وهي فكرة لاقت قبول الباحثين، ولا زالت تناقش من قبل النقاد والقراء ليومنا هذا.

وبالحديث عن القيم الاجتماعية الأصيلة و القيم المستودة عبر تكنولوجيات الإتصال والإعلام، فالتربية في عصر ماقبل التكنولوجيا مثلا، ليست نفسها مابعد حلول هذه التكنولوجيا، وما يراه الأولياء في هذا السياق ليس ما يراه الأبناء .

ولهذا أفرزت التكنولوجيا علاقات إجتماعية جديدة، وقيم سلوكية حديثة، وإتجاهات وعادات لم تكن موجودة، قد تتفق، وقد تتعارض مع الإطار الثقافي والقيمي للمجتمع .[13]

فنجد من بين هذه القيم التي تحملها الوسائل التكنولوجيا ما يميل لغلبة الثقافة الغربية التي تدعي التحرر، والرقي والتقدم، مشكلة مخاطر، بالنسبة للبلدان والشعوب المستهلكة والمستوردة على وجه الخصوص لهذه التكنولوجيات وخاصة البلدان والشعوب العربية والإسلامية، ومن بين تلك القيم النوعية التي تحملها هذه الوسائل : الجريمة والعنف، الخيانة والغش بأنواعه، التسفيه والتسطيح الفكري، الإباحية، العلاقات خارج اطر الزواج، المادية الطاغية، وهذا في المقابل القيم التي عهدتها مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وهي مناهظة في الأصل للقيم المستوردة ، وتتمثل أساسا : في السماحة والمودة والرحمة، الأخوة، التكافل، الإعتدال الفكري، التراحم والتأزر الإجتماعي.

ولعل من أساليب وطرق تصدير وتسليع البضائع الثقافية والقيم الغربية ،والأمريكية بخاصة، تلك الوسائل التكنولوجيا، التي يستخدمها عموما الشباب عصرنا هذا، ومن بينها المنتجات الثقافية المتمثلة في الأفلام الغربية، البرامج التلفزيونية والإذاعية عموما، الصحف والكتب والمجلات، وسائل الاعلام الجديد : شبكات التواصل الاجتماعي وغيرها.

المحور الثالث : تجليات القيم الإجتماعية في ظل جدلية التكنولوجيا والثقافة

ليس من السهل الحديث عن قيم اجتماعية في معزل عن التدفق الإتصالي بين فئات وطبقات المجتمع، ويعود ذلك بالأساس للتكنولوجيا ذاتها، وماتحمله من وظائف ليس فقط على المستوى التقني، وانما ماتحمله من مضامين خصوصا ايديولوجية وثقافية بعينها، وكثيرا ما تأتينا التكنولوجيا في رداء الجديد التقني الهائل متناسين ماتحمله تحت هذا الرداء من عيوب قد تعصف بكينونتنا القيمية الأصيلة ، خصوصا اذا تحدثنا عن إعلام جديد، ونحن لم نصل بعد لسيطرة فعلية حقيقية لإعلام نقول عنه تقليدي، فسقطنا في عالم التسفيه المعلوماتي مثل مايسميه الدكتور حمدي حسن بوالعينين خصوصا في ظل وجود مناخ من الأمية التعليمية والنفسية المؤدية لطوفان من الرسائل الترفيهية التي تؤدي لتحقيق وظائف التخذير بدلا من محاولة فهم الواقع .

ثمة اليوم الكثير من الدلائل التي تؤكد على أن التكنولوجيا أدت الى تغير الواقع الإجتماعي، بداية بمحاولات تحقيق التقارب التكنولوجي، الذي يؤدي لتقارب ثقافي ،ينتصر في حقيقة الأمر للثقافة الغربية.

وتتيح وسائل الاعلام الجديد العديد من الثقافات التابعة التي تعمل جنبا الى جنب مع الثقافات الاصيلة، واكدت الدراسات ان قدرة الافراد على التفاعل الثقافي تزداد باطراد نحو التفاعل مع الثقافات التابعة، وهذا مايؤدي لتزاوج واندماج ثقافي، يؤثر بطبيعة الحال على النظام السلوكي من خلال تحقيق التغيير الاجتماعي الثقافي .

بيد ان التكنولوجيا هذا الوافد خصوصا على مجتمعاتنا، ادى لتحولات ثقافية وقيمية لاحقا، خصوصا على مستوى اللغة، فإنحصرت رغم قابليتها للتطور، وضيق عليها رغم ابداعها، وللأسف أصبحت حبيسة الارقام، وهذا ما أكدت عليه الدراسات فالتطور التقني للإتصال أدى لتراجع الابداع اللغوي بعدما كانت اللغة في اوج عطاءاتها خلال عصور ظهور الكتابة والطباعة، تراجعت نوعا ما مع ظهور الهاتف الذي كان عدد مفردات المكالمة فيه يصل لـ5000 مفردة حسب دراسات، وهبط ايضا على المستوى الادبي من 10.000 مفردة الى حوالي 3500 مفردة في الاعمال الادبية الرقمية.[14]

وفي خضم هذه الافكار لقد أكد الباحث الاستاذ فضيل دليو : "أن شبكة الانترنت كباقي وسائل تكنولوجيا الإتصال الدولي والعالمي، تساهم في تنشيط العولمة ،حسب معالم الساحة العالمية الجديدة ذات الطابع الأمريكي المهيمن، والمشكلة المطروحة هنا هي توجهها الى صياغة ثقافة عالمية قوامها قيم ومعايير غربية –امريكية، الغرض منها ضبط سلوك الدول والشعوب وقولبتها في ثقافة عالمية واحدة، لأنها لاتؤمن بالخصوصيات التاريخية والثقافية للأمم، ولا بسيادتها السياسية الكاملة، عاكسة بذلك إرادتها في الهيمنة على العالم.[15]

كل هذه التحولات الثقافية والقيمية فرضت نفسها كأمر واقع أمام الباحثين ،فبرزت ايضا العديد من الدراسات الرسينة محاولة تقليص حجم الفجوة والانتصار للثقافات والقيم الأصيلة، ومكافحة وصد تلك التيارات أو الثقافات الدخيلة .

وكان هذا نقطة الإرتكاز في تلك الدراسات، التي أسهمت في وضع تصورات حول، إستخدام وسائل الإعلام، وتحدياتها على النواحي القيمية والثقافية للمجتمعات المحافظة، ومن بين هذه الدراسات المهمة : تلك المساهمة التي قدمها الباحث الجزائري عزي عبد الرحمن في مايسميه بالنظرية الحتمية القيمية في الإعلام، حول تأثير محتويات وسائل الإعلام على الثقاقات والمجتمعات العربية التي تتلقى مضامين هذه الوسائل.

ولم تقتصر أفكار الباحث عزي عبد الرحمن على وسائل الإعلام التقليدية فقط، كوسائل تكنولوجيا، وإنما بات الحديث يومنا هذا على وسائط الإتصال والإعلام الجديدة، والتي أفرزت بروز شبكات للتواصل الإجتماعي ، يتم من خلالها ، تبادر الأدوار، والتفاعل، وتبادل الثقافات بشكل مفتوح أكثر مما سبق.

وفي هذا الصدد يرى الباحث "حمدي بوالعينين " : اننا مفتونون بثورة الإتصال، ونتحدث عنها بإعجاب شديد، ولم نعرف بعد كيف يمكن الإستفادة منها".

ويرى ذات الباحث أن الثقافة تميل لتخضع للتكنولوجيا في نهاية الأمر، وذلك في ضوء، سيطرة وهيمنة القوى الكبرى ، على الاتصال والتكنولوجيا، وذلك على الرغم، من أن هدفها المصرح به، هو

تحقيق التقارب الثقافي ، لكنه في حقيقة الأمر، تقارب ثقافي، يميل إلى غلبة و إنتصار الثقافة الغربية، بإعتبارها ثقافة القوى المهيمنة.[16]

وفي هذا الصدد تعمل التكنولوجيا على إقامة ثقافات فرعية يندمج تحتها، مستخدمو التكنولوجيا، فمثلا يندمج مستخدموا وسائل الإعلام الجديدة، ومن بينها شبكات التواصل الإجتماعي تحت ثقافات تابعة، أكثر من كونها ثقافات أصيلة، وذلك من كون أن اتصال هؤلاء المستخدمون في الأصل يتم، في اطار تفاعلات إجتماعية، يتم فيها انتاج المعاني والرموز، تجعل المستخدمين يشتركون، فيها اينما حلوا وإرتحلوا.

وبفضل وسائط الإتصال الحديثة أصبح العالم بين يديك وانت جالس داخل المنزل وبين أفراد الأسرة، بعيدا عنك، ولقد ادت هذه الوسائط إلى تعزيز عزلة الفرد نسبيا عن محيطه المباشر والضيق لتفتح له أبواب تواصل لا حدود لها مع أرجاء العالم البعيد، ولقد أدت بالإنسان بأن يتواجد جسديا في مكان، وفكريا وعاطفيا وإجتماعيا في مكان أخر .[17]

بمعنى أن الرقابة المجتمعية حول القيم تتضاءل نسبيا أيضا ، بحكم خضوع و إنصهار أفكار المستخدمين ،في بوتقة الثقافة العالمية التي يروج لها، بحكم عولمة الثقافة العالمية، وهذا مايؤدي إلى وجود أفراد من مختلف المجتمعات والدول، في وقت واحد، يتفاعلون ويتبادلون الرسائل و الأخبار، وحتى المشاعر في ما بينهم.

وتتجلى بشكل كبير تأثيرات القيم الاجتماعية على أفراد المجتمع في عصر الانترنت، بحيث توصلت دراسة الدكتور "ابراهيم عثمان" الى ان وجود الانترنت قد أفقد الوحدات التقليدية التي كانت مسؤولة عن تنشئة أفراد المجتمع كثيرا من وظائفها وأهميتها، وهذا مايتطلب من الاسرة والمدرسة والدولة جهودا في ضبط ماتحمله المضامين التي تحملها هذه الشبكة، وأكد الدكتور "ابراهيم عثمان " أيضا أن الانترنت أصبحت بديلا للتفاعل الإجتماعي الصحي مع الرفاق والاقارب، واصبح هم الفرد قضاء ساعات طويلة في مطالعة وتصفح المواقع المتعددة ، مما يعني تغيرا في منظومة القيم الاجتماعية للأفراد، ويعزز الاستخدام المفرط، القيم الفردية مقابل القيم الاجتماعية، وقيم العمل الجماعي المشترك الذي يمثل أساسا لمنظومتنا الثقافية والقيمية .[18]

المحور الرابع :أليات التحكم في السلوك في ظل تغول التكنولوجيا

تعد تكنولوجيات الإعلام والإتصال الحديثة سلاحا ذو حدين، إما سلاحا بناءا، أو سلاحا فتاكا هداما، ويتوقف هذا حسب بعض النقاد على درجة ومستوى المستخدم، وقد يكون العيب فيه، ويرجع ذلك ربما لإنغماس قيمه التي يحملها مع القيم التي يتعرض لها، وقد يتبناها جراء إستخدامه لهذه التكنولوجيات، ويعتقد هابرماس أن : "المواطنة متعددة الثقافات تمثل المفهوم الذي يجده على توافق تام معه، فالمواطنة وضع يترجم في شكل حدود فردية، ومع ذلك لا ينبغي أن يغيب عن ناظرنا، أن

المواطنين هم أيضا أشخاص لهم هويات فردية، نمت وترعرت وسط تقاليد معينة، وفي أوساط ثقافية نوعية، لذا فإنه يجب أن نضع في الحسبان، أن هؤلاء الأشخاص هم في حاجة إلى هذه التقاليد، حتى يتمكنوا من الحفاظ على هوياتهم".[19]

بمعنى أن التقاليد بمثابتة الحارس الأمين عن الهويات الفردية لمستخدمي وسائط وتكنولوجيات الإتصال الحديثة، وهذه التقاليد في حقيقة الأمر تاجها الذي نجده على رأس كل فرد منا هو القيم الإجتماعية الأصيلة خصوصا، فقد تكون سلاحنا الذي نواجه به الغزو الثقافي والفكري والقيمي المضاد، حتى نأمن بأنفسنا وهوياتنا من خطر الإختراق .

ولعل البراديغم السبرنطيقي يتفق في هذا الصدد مع أهمية عنصر القيم في النظام المجتمعي كرسالة أو معلومة مكونة لشكل ودور النظام ككل، بحيث نجد مؤسس البراديغم السبرنطيقي "نوربرت فينر " يقول : "إن مجموع المعلومات في نظام ما، هو مقياس درجة تنظيمه، والتدهور هو مقياس درجة فوضويته، حيث أن كل منهما يمثل الوجه السلبي للأخر ".[20]

كما سبق واشرنا انفا تعد السبرنطيقا العلم الذي يقوم على التحكم والضبط، خصوصا في الانظمة و هذا ماربطه "نوربرت فينر" من خلال تطوير ابحاثه في كشف عن الجيل الاول للسبرنطيقا ولاحقا ظهر مايعرف بالسبرنطيقا الإجتماعية في الجيل الثاني من أبحاثه .

ألية التغذية الراجعة ودورها في التحكم في الرسالة الإتصالية

يمكن استخدام المبادئ الاساسية السيبرنطيقية في الدراسات الاجتماعية، بمعنى أن الظواهر والسلوكيات الاجتماعية يتم التعبير عنها بطريقة رياضية تقنية قصد توجيهها والتحكم فيها، وهدا ما أطلق عليه بالمقاربة السوسيوسيبرنطيقية. [21]

وفي هذا الصدد يعد التحكم في طبيعة الاتصال ومستواه من مميزات النظام السبرنطيقي الذي يعد من الأسباب الرئيسية لظهور التكنولوجيات، ومن بينها تكونولوجيات الإعلام والاتصال، من خلال المطالبة بتسهيل عمليات التواصل خصوصا في أعقاب الثورة الصناعية التي عرفها العالم، والتي كانت ثورة بشرية بالدرجة الاولى بحثا عن أنجع الوسائل لتسهيل حياة البشر التي كانت بدائية .

ويركز الانموذج السبرنطيقي على الية رجع الصدى من خلال تلقي المعلومة اعتمادا على العقل او كما يسميها أحد الباحثين "بالعقل الإلكتروني" والذي ادى لبروز ما يعرف حاليا بالذكاء الاصطناعي، الذي يقلد تماما مايقوم به البشر على سبيل المثال تقديم درس من قبل أستاذ يتم اعداده والتحكم فيه بواسطة التكنولوجيا عن بعد.

و يقوم هذا العلم اولا بدراسة الانسان كفرد، من خلال دراسة شاملة للرسائل العصبية التي يتلقاها في شكل مدخلات واعادة تحليلها، في شكل مخرجات وتوجيهها بما يسمح بتطوير او تقديم اي مستجد

يساهم في بلورة فكرة بساطة الحياة الاجتماعية، سواء من خلال توفير ادوات تكنولوجيا او حتى امداد الخبراء بمعطيات للتحكم في السلوك الفردي .

وفي هذا الصدد، يتحتم لدراسة سلوك التغير القيمي على المستوى المجتمعي دراسة الرسالة الإتصالية من حيث الجوهر دراسة رياضية وتأويلية من خلال تتبع مختلف مراحل مرورها عبر نظام شبكة الإتصال، على ان تكون هذه المعلومة المحصلة من قبل المرسل او المصدر، وفق تصورين :

اما **تغذية راجعة موجبة** : فهي عبارة عن عملية ذكية لا تتخذ مسلك واحد في ردود الفعل خلال عملية التغذية العكسية ،وتساهم في التنبؤ بالظواهر مستقبلا .

او **تغذية راجعة سلبية** : فهي عملية خطية روتينية تتخذ مسلك واحد خلال عملية التغذية الراجعة بحيث انه اذا حدث انحراف معين، فهذا يتطلب إعادة النظر في جزئيات الرسالة، من خلال التحليل والتفسير، واعادة تعديل الرسالة وفقا لمكامن الخطأ وتصويبها.

هذا ونجد ان التغذية الراجعة الموجبة كونها ذكية فهي تندرج ضمن الجيل الثاني من السيبرنطيقا وهي التي تعنى بالمقاربة البيولوجيا والاجتماعية، عكس التغذية الراجعة السلبية التي تندرج ضمن الجيل الأول من السيبرنطيقا والتي تعنى بالألات ونحوها.[22]

واذا وجدنا ابسط تفسير في هذا السياق فإن التغيرات القيمية في المجتمع كرسائل في حد ذاتها، فهي تعنى بالمقاربة الاجتماعية كعملية رجع صدى ايجابي وذكي ايضا .

واذا تحدثنا أيضا عن التغيرات القيمية التي تحدث على الصعيد المجتمعي، فالربط بينها وبين التكنولوجيا مفروغ منه، من كون التغيرات القيمية جاءت كنتيجة حتمية لعديد من المتغيرات، و من بينها ظهور وسائل الإعلام الجديد، وهذا ما جعل التحكم والضبط ممكن نسبيا، لأننا نتحدث عن "عقل إلكتروني" وهوية إفتراضية مبرمجة وقد تكون موجهة وفقا لقيم ناشئة و وافدة، ومنه ينبغي على مؤسسات التنشئة والمصلحيين الإجتماعيين التركيز على بناء رسائل قيمية في النظام المجتمعي وعبر الوسائل التكنولوجيا بخطة بنائية وقائية وعلاجية تصحيحية حسب الظروف والمتغيرات .

وهذا يعني أيضا ضرورة تفعيل الرقابة والمتابعة بعين متبصرة قدر الإمكان، لأن الثورة الرقمية وجلاء الذكاء الإصطناعي، والتطور اليومي والمتلاحق لتطبيقات التواصل الإجتماعي، لامفر منه، وليس بالضرورة المطلقة ان ننتظر دراسة مخاطر محتوياتها على القيم والثقافات الاجتماعية الاصيلة، فكل هذه التقنيات المستجدة قد تكون ايضا بمثابتة فرصة تساعد مؤسسات التنشئة الإجتماعية في عملية مراقبة ورصد سلوك الأفراد والجماعات عبر عنصر المعلومة او نظام الرسائل المتبادلة، تماما مثل فكرة توظيف الذكاء الاصطناعي في الحياة الاجتماعية، مثل تلك الروبوتات الموجهة لأغراض التعليم والتربية، فيكفي فقط ادخال بيانات عبر هذه التقنيات الحديثة للحصول على بيانات راجعة في شكل رسائل، مما يساهم في عملية التوجيه والتحكم.

وتأسيسا على ماسبق تسمح افتراضات الانموذج السيبرنطيقي في بناء وتوجيه رسائل قيمية وادخالها عبر برمجيات ومختلف التطبيقات و الوسائل التكنولوجيا، على ان تسترجع في شكل رجع الصدى، وهذا مايدعم اسس بناء رسائل إتصالية مستقبلية مضاهية أو اكثر قوة وعمق بما يؤدي لتحقيق أهداف الإتصال التي يرغب القائم بالإتصال في تحقيقها.

وفي حقيقة الأمر لا يكون هذا الا بتظافر الجهود الإتصالية، والنهضة الرقمية بين مكونات المجتمع من خلال وجود ارضية اتفاق بين المؤسسات التعليمية والتربوية، والمؤسسات المجتمعية الأخرى من خلال التدريب والتاهيل الاعلامي والاتصالي الرقمي والقيمي، لجميع فئات المجتمع دون استثناء، وأيضا ممارسة أساليب وتقينيات إتصالية عالية الجودة بين هذه المؤسسات وجماهيرها، بما يؤدي لتحقيق التكامل والتفاعل، وتحقيق السيطرة ولو جزئيا على تلك المساحات التي تحاول الثقافات الهجينة والدخيلة ملأها.

فمشكلتنا اليوم كما يقول العديد من الباحثين مشكل مرجعية، لكن وبإعترافهم يعود هذا، لعدم السيطرة الفعلية على نظام رسائلنا الإتصالية بالدرجة الأولى، فمتى كان الاتصال مفتوحا ومتقبلا للافكار سهل تحقيق الاندماج الفكري لمؤسساتنا وجميع فئات مجتمعنا، مما يقلل الإعتماد على الرسائل المستوردة.

خاتمة:

في ختام الموضوع، وبناءا على ماتم رصده من معلومات في المتن، توصلنا لعدد من النتائج كحوصلة حول موضوع تحورات القيم الإجتماعية في ظل التكنولوجيا وضوابط التحكم في السلوك، وكانت مجمل النتائج كما يلي:

- تفسر تحورات القيم الإجتماعية التي طرأت مؤخرا على المجتمعات، على أنها احد افرازات فعل دخول التكنولوجيا حيز الخدمة في الحياة الاجتماعية، وبما فيها وسائل الإعلام الجماهيرية والرقمية، مما ادى لكونية المجتمع وتوحده مع هذه المخترعات عكس ماكانت عليه الحياة الاجتماعية قبل ذلك خصوصا في ضوء الروابط التقليدية التي كانت تجمع أفراد المجتمع.

- تعتبر عملية التغير الإجتماعي عملية طبيعية تحدث بإستمرار في النظام الإجتماعي لعديد من الإعتبارات، ومن ضمنها تطور تكنولوجيا وسائل الإعلام والإتصال .

- لم تكن التكنولوجيا هي الوحيدة العنصر المؤثر في تغيير النظام الإجتماعي، فلقد جعلنا المضمون نرتمي احيانا في احضان التكنولوجيا دون بصيرة ووعي في غياب فعلي وعملي من قبل

مؤسسات التنشئة والتربية المجتمعية، وإفتقار البنية التحتية للإنترنت لقدرات التدفق وحتى اهمال وتهميش الخبراء فيها.

- بروز قيم دخيلة مقابل القيم الاصيلة على المستوى الاجتماعي، وامتزاج الثقافات عبر فضاءات التكنولوجيا خصوصا في ظل عالمية وسائل الإعلام الجديد.

- إكتفاء الباحثين في التكنولوجيات بالتحذير من إستخدام التكنولوجيا على المستوى القيمي للمجتمع في غياب الجدية المؤسسية والقانونية والاخلاقية من المؤسسات الفاعلة.

- يعد علم التحكم في الأليات أو السبرنطيقا احد اهم الأليات النظرية التي يساهم تطبيقها في ميدان العلوم الإجتماعية والإنسانية، في عملية ضبط السلوك خصوصا الاتصالي في علاقة الأفراد ببعضهم البعض، وفي علاقتهم بوسائل الاعلام والاتصال التقليدية والحديثة، وذلك في ضوء الاستفادة من افكار الانموذج السيبرنطيقي في عملية بناء وتشكيل رسائل ومضامين قيمية "مدخلات" يتم بثها اونشرها عبر مختلف التقنيات والوسائل التكنولوجيا، واعادة استرجاع هذه الرسائل في شكل مخرجات يعبر عنها برجع الصدى، الامر الذي يساهم حتما في معرفة حدود وامكانيات وقدرات مؤسسات التنشئة الاجتماعية في رصد مختلف السلوكيات القيمية في المجتمع ، والعمل على تعديلها، او تغيرها، وذلك كله حتما عبر تحليل وتفسير هذه الرسائل.

- تساهم عملية الرقابة والمتابعة على كل مايطرأ على النظام المجتمعي خصوصا في مايتعلق بالمضامين التي يتلقها ويستقبها الأفراد في المجتمع كأجزاء مكونة للنظام المجتمعي الأشمل في عمليات التنبؤ بالسلوكيات عموما، وهذا مايعود بالفائدة في التمكن الجيد من التوجيه والتحكم في السلوك أيضا.

- يمكن ان تساهم الوسائل التكنولوجيا الحديثة في عمليات التوجيه والتحكم من خلال نظام الرسائل التي يتم ادخالها عبر هذه التقنيات، ودون شك فبرمجيات الذكاء الاصطناعي يومنا هذا تدعم هذا الطرح .

هذا و يترتب على النتائج سالفة الذكر عدد من المقترحات ، نجدها كما يلي :

- ضرورة التنسيق بين المؤسسات التربوية و التعليمية والإجتماعية المختلفة وتنسيق الجهود توفيرا لبنية تحتية مستقبلية تسمح للمجتمع من تحقيق إتصال بنائي وقائي و اتصال العلاجي

التصحيحي على حسب الظروف والمتغيرات القيمية، حتى لاتكون القيم الوافدة عبر التكنولوجيات قد انفردت بأفراد المجتمع قدر الإمكان.

- لا تكفي الاشارة لضرورة التربية الاعلامية داخل المؤسسات التربوية، خصوصا في ظل التـأخر في ترسيمها ،و وصولنا لعصر جديد وهو عصـر الاعـلام الجديـد، ومـن هنـا يجـب ايـلاء الأهميـة البالغـة بتصميم الرسائل والمضامين الموجهة لمختلف فئات المجتمع عبر هذه التكنولوجيات، والتي من شـأنها مرافقة المناهج التربوية في عمليات التنشئة الإجتماعية والقيمية .

الهوامش

[1] - العتوم ، انتصار ، (2020) ، مقال : الفرق بين التغير الإجتماعي والتغيير الإجتماعي ، تاريخ النشر :03-12-2020 ، تاريخ الدخول 05-09-2022.

الرابط: موسوعة بالعربي على شبكة الانترنت https://e3arabi.com/

[2]- بكوش ،الجموعي مومن ، (2017)، التغير الاجتماعي وانعكاسه على القيم الاجتماعية لدى طلاب الجامعة ، أطروحة دكتوراه في علم النفس ،تخصص علم النفس الاجتماعي ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة بـــــسكرة ، الجزائر، ص 111.

[3]- سويقات ،لبنى و عبد الإله ، عبد القادر ، (2016)، "الحتمية التكنولوجية": مدخل نظري لدراسات استعمالات الإعلام الإلكتروني ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، المجلد 9 العدد 2 ، ص 878.

[4]-جوادي ، يوسف و قشي ، الهام ، (2018) ، السبرنطيقا "اصولها وتطبيقاتها الحديثة" ،مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة محمد خيضر بسكرة ،العدد 3 مارس 2018، ص 141.

[5]-بطاهر ، هشام ، (2018) ، التأسيس النظري لعلوم الإعلام والإتصال انطلاقا من البراديغم السبرنطيقي ، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات ، المجلد 1 ، العدد 2 ، ص 229.

[6]-ليلة ، علي ، (2011) ، تفعيل القيم في البحث الاجتماعي ،ط1، مصر ، دار البشير للثقافة والعلوم، ص 329.

[7]-بورقية ، رحمة ،(2018) ، القيم والتغير الاجتماعي في المغرب ، مؤمنون بلاحدود للدراسات والأبحاث ، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، 3اكتوبر 2018. ص 4.

[8]- خزار عبد الحميد، التربية والتغير القيمي ، مجلة الاحياء ، العدد التاسع ، جامعة باتنة .ص ص 239-240.

[9]-مكاوي ، عماد حسن و السيد ، ليلى ، (2016) ، الإتصال و نظرياته المعاصرة ، ط12 ، مصر ، الدار المصرية اللبنانية، ص.275

[10]- مرجع نفسه ، عماد حسن مكاوي والسيد ليلى،ص276

[11]- مرجع سابق ، بكوش ،الجموعي مومن ، (2017)،ص.129

[12]-العتوم ، انتصار ، (2020) ، مقال : عامل التكنولوجيا ودوره في التغير الاجتماعي ، تاريخ النشر 27 نوفمبر 2020 ، تاريخ الدخول للرابط : 09-09-2022، متاح على الرابط : https://e3arabi.com/sociology

[13]-إيكوفان ، شفيق ، (2019) ، التكنولوجيا الحديثة وأزمة العلاقات الإجتماعية ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية ، العدد 11 ، المجلد 3 ، ص26.

[14]-بوالعينين ، حمدي حسن ، (2012) ، الاعلام الجديد في العالم الاسلامي، مجلة الدراسات الإعلامية القيمية المعاصرة ، العدد الأول ،المجلد الأول الجزائر ، ص15.

[15]-دليو ، فضيل ،(2015) ، تكنولوجيا الإعلام والإتصال الجديدة، الجزائر ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.ص54.

[16]- مرجع سابق ، بوالعينين ، حمدي حسن ، ص .14

[17]-حمدي ،محمد فاتح ، (2012) ، إستخدام تكنولوجيا الإتصال والإعلام الحديثة وانعكاسه على سلوكيات الشباب الجزائري ، مجلة الدراسات الإعلامية القيمية المعاصرة ،العدد الأول ، المجلد الأول ،الجزائر، ص32.

[18]-ينون ، فاطمة الزهراء ، تكنولوجيا الإتصال الحديثة والقيم الإجتماعية والثقافية ، ص373.

[19]-الأحمد ، أحمد ، (2021) ، قضايا فلسفية في أخلاقيات التواصل التكنولوجي ، ط1، الأردن ، وزارة الثقافة ،ص69.

[20]-سراي ، سعاد ، (2018) ، البراديغم في علوم الإعلام والإتصال مابين الضرورة المنهجية والصعوبات البحثية الإجرائية ، مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، المجلد 7 ، العدد 28 ، ص405.

[21]-بن سولة ، نور الدين ، (2014) ، السيبرنطيقا و وسائل الإعلام ، تاريخ النشر : 09-10-2014 ، تاريخ الدخول الى الرابط : 19-05-2023 ، متاح على الرابط :

https://jilrc.com/archives/2425

[22]-مرجع سابق ، جوادي ، يوسف و قشي ، الهام ، ص 147.